

## الصين في ظل سيطرة القائد الصيني ماو تسي تونغ

أسفر العصر الذهبي الإسلامي في القرن الثامن عن التطورات الهامة العلمية والاجتماعية في العالم الإسلامي. تمخض التنوير الأوروبي في القرن السابع عشرة عن الإصلاحات العلمانية والاجتماعية والسياسية التي روجت للمنطق العلمي والتشكك في الدين. أدت الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشرة الى كتابة إعلان حقوق الإنسان والمواطن التي أنشأت الأساس للمفاهيم مثل الديمقراطية وحرّيات الإنسان حيث كل الناس خلقوا على قدم المساواة بغض النظر عن لون الجلد أو الثقافة أو الدين. ترك كل أحد من هذه التطورات بصمة دائمة على تاريخ الإنسان علاوة على الطريقة التي نعيش بها حياتنا اليوم. ما الذي يحدث في القرن الحالي؟ ينظر بعض المحلّلين أن القرن الحادي والعشرين يتصف بهيمنة بلاد آسيا من حيث أهميتها الاقتصادية والسياسية و سيلقي التركيز الحتمي في قارة آسيا الضوء على اتجاه الحضارة الإنسانية في المستقبل، خصوصا نظراً الى الحرب العالمية الثانية والحروب الاستعمارية التي ضعفت الكثير من الدول الغربية سياسياً. لذلك مع مراعاة صعود الصين الاقتصادي و تعزيز اقتصادات البلاد الآسيوية الأخرى، يصبح السؤال: هل هذا هو عصر فجر آسيا جديدة؟ وكيف نجحت الصين في التطور بهذه السرعة كما نراها اليوم؟

هذه الايام من الجليّ أن يرى المرء أنّ الصين قوة عالمية نامية ذات النفوذ العالمي الكبير على نطاق واسع. تعترم الصين على توسعة نفوذها الى المناطق الأخرى أنحاء المعمورة مثلاً عن طريق استثمارات في البلاد المتخلفة في قارة أفريقيا و تزيد هذه البلاد بالمعونة الاقتصادية بالمقابلة لاستعدادها لتأسيس الروابط الاقتصادية مع الصين. لا حاجة للبيان أنّ التطور الاقتصادي في الصين يعتبر معجزة معاصرة. ولكن قصة النجاح الاقتصادي في الصين معقدة كل التعقيد. تستند التطورات الاقتصادية الصينية السريعة الى الاستثمارات الخارجية والاستثمار في تطوير البنى التحتية المحلية مثل توسعة نظام التعليم الوطني لزيادة نسبة التعليم وإنشاء شبكة معقدة من الطرق و خطوط الملاحة لتعزيز التجارة

لتشجيع ريادة الأعمال المحلية و بناء وسائل الراحة الحديثة لتحسين "السوق المنفتح" المحلية والدولية و انتهاج سياسة جودة حياة مواطنيها و إيجاد آليات جديدة لتثوير قطاع الصناعات التحويلية

ولكن كان ثمة سعر فادح لإنجاز كل هذه النجاحات. في عام ١٩٤٩، استقلت الصين في اعقاب الحرب العالمية الثانية و العديد من حروب أهلية و أصبح قائد ماو تسي تونغ الرئيس الأول الصيني في جمهورية الصين الشعبية. في ظلّ سيطرة ماو، ارتكبت الكثير من الجرائم ضدّ الإنسانية و حدثت انتهاكات حقوق الإنسان. كان متصلباً شيوعياً و آمن بأهمية عقيدة الشيوعية للتوحيد و تعزيز الشعب الصيني تحت راية واحدة. على الأخصّ بعد غزوة الإمبراطورية اليابانية للصين التي تمخضت عن وفيات ملايين من المدنيين الصينيين الأبرياء، أراد ماو أن يكون الشعب الصيني قابضاً على مصيره و يقدر على التغلب على العوائق و التحديّات بدون الاعتماد على قوة أجنبية. لكي ينجز هذه، ينبغي أن ينفذ تدابير صارمة متنوعة لترسيخ نظام الحزب الواحد المركزي بدون أيّ استثناء و تكريس الجهود لتسريع تطوير القطاع الزراعي اقتصادياً و لتطوير قطاع الصناعات التحويلية. سنّ ماو مشروعين لضمان قبضه على القوة السياسية و التي تركت عواقب وخيمة حتى الآن "الثورة الثقافية" و مشروع "القفزة الكبرى إلى الأمام" لإبادة أعدائه: مشروع داخل الصين و في السكان الصينيين في الخارج

هذه "الخطة الخمسية" التي جزء من خطة أكبر سمّيت "القفزة الكبرى إلى الأمام" في نهاية الخمسينات، شنّ ماو مشروع الخطة كانت مصمّمة كبديل آخر لتشجيع النمو الاقتصادي المحليّ مركّزة في تسريع تطوير القطاع الزراعي و استعمال هذا النمو لتأييد تمدين مدناً جديدة. في هذا المشروع الاقتصادي، أضطرّ الفلاحون الصينيون الكثيرون ذو الدخول الشهرية الضئيلة الى العمل تحت الظروف السيئة في المصانع و المعامل و مخيمات العمل التي أنتجت الحديد و الفولاذ و الفحم للمساهمة في تطوير الصين. أراد ماو أن يزيد الإنتاج الزراعي في المزارع الريفية، لذلك أمر بتنفيذ تقنيّات زراعية جديدة التي كانت غير مثبتة و غير علميةّ ممّا يسفر عن العديد من الكوارث الصناعية و ضعف جودة الإنتاج من المنتجات الصناعية. بسبب هذا التركيز في الإنتاج الصناعي و إضاعة الموارد الزراعية و مصادرة المحاصيل المجاعة" الزراعية، لم يستطيع الفلاحون أن يطعموا أسرهم بشكل كاف و مات ٣٠ مليون في أكبر مجاعة سمّيت الصينية

بين عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٢ "العظيمة

في ذروة السلطة، واجه ماو الكثير من التهديدات من خصومه من صفوف القيادة الصينية الذين أرادوا أن يتنحى ماو أدى الى الاعتقالات و "ثورة ثقافية" عن منصبه فضلا عن محاولاتهم مستمرة لتهميش سلطته. لتجنب انقلاب، شنّ ماو تعذيب خصومه السياسيين بالاضافة الى احتجازات أي واحد هدد الشبكة الاشتراكية والاستقرار الشيوعي في الدولة. اجتاحت الشرطة السرية الصينية تحت أوامر ماو منازل الثوار المشتبهين و اشتركت في كبت حريات التعبير و إخماد المنشقين بحجة أنها كانت تحمي عامة الناس عن الإرهابيين. تمخضت هذه الثورة عن تدمير معظم التراث الثقافي التقليدي الجميل في الصين لسوء الحظ. بسبب الجوسائد من جنون العظمة، أهدمت الحكومة الصينية الكثير من المفكرين مثل العلماء والفلاسفة والأساتذة حتى الأساقفة. أعتبرت الجامعات والمدارس و أماكن العبادة، على الأخص معاهد الدين، تهديدات بها أنها استطاعت أن تضلل الناس عن العقيدة الشيوعية. هذا العصر كان عصرا مأساويا في تاريخ الأمة الصينية لان الأبرياء لقوا حتفهم بدون سبب جيد

في وجهة نظره، الثوار كانوا تهديداً لمستقبل الصين الشيوعية و لم تألو الحكومة الشيوعية جهداً في اضطهاد كلهم الذين رفضوا أن يراعون السياسات الحكومية و لم يهّم أنّ قليل من السكان الصينيين قتلوا من أجل الأمة الصينية طالما تم تأمين مستقبل الصين الشيوعية. بسبب كل هذه الأسباب، نجحت ماو في الاستبداد بالصين و قدر على الهرب من الاتهامات بجرائم الحرب لانه كان مصدر السلطة و صانع القرار الرئيسي. إنّه كان تحت هذا ادّعاء زائف من أجل خير الأمة أنّ الشعب الصيني عانى معاناة عظيمة من المجاعة والرعب والفقر على يد مجرم ماو. الأمة كلها كانت مخدوعة عن تبع رغبات رجل مجنون و من المسلّم به أن يرى المرء الندوب المأساوية على المجتمع الصيني اليوم. كثيراً ما قد اختفت عائلات كلها فجأة بدون سبب و حتى الآن أقرباء هؤلاء الناس لا يعرفون أيّ شيء عن أخبارهم أو مكان قبورهم إذا قتلوا حقاً